مدخل إلى دراسة علم نفس النمو

•تفيد دراسة علم النفس بصفة عامة في فهم السلوك و ضبطه و توجيهه و التنبؤ به.و علم نفس النمو بصفة خاصة، يفيد في فهم سلوك الفرد و ضبطه و توجيهه و التنبؤ به، فهو ينمو عبر مختلف مراحل الحياة.

•و على الرغم من الصلة الوثيقة بين هذان العلمان و تعاملهم مع معظم المواضيع الرئيسية في مجالات علم النفس و السلوك الإنساني في الغالب، إلا أن علم نفس النمو يتميز بسمات أهمها: – عدم الاكتفاء بوصف الظاهرة أو مقارنتها و التعامل معها كظواهر نفسية جامدة و معزولة عن باقي المظاهر النفسية الأخرى.

- •استخلاص العناصر و السمات التي تميز أية ظاهرة من الظواهر النمو خلال مراحل تطورها ثم العمل على دمج تلك المظاهر و إبرازها في شكل تطور سلوكي.

- •العلاقة المتينة القائمة بينه و بين فروع علم الحياة بجميع جوانبه، مما أسهم بشكل واضح في إثراء مجاله و توسيع آفاقه.

•و الواضح من خلال الإطلاع على الكتب و الأبحاث و الدراسات التي أجريت في هذا المجال الانشغال حول الإجابة عن التساؤلات التالية:

- •كيف و لماذا يصبح الفرد كما هو في مراحل النمو المتتالية؟

- •ما هي إمكاناته الو راثية و ظروفه البيئية ؟

- •ما هي أسباب و أعراض و علاج مشكلات النمو ؟...

•لذا يمكن اعتبار كل تلك الأعمال و الدراسات و الأبحاث في مجال علم نفس النمو مادة علمية لها تطبيقاتها التربوية المباشرة في الحياة العملية، في الأسرة، في المدرسة و المجتمع،و هو سبب تركيز محتوى المقياس على فترة الطفولة و المراهقة . و قبل الخوض في ذلك نرى أنه من الضروري التعريف بعلم نفس النمو و مفهومه، إضافة إلى أهمية و أهداف هذا العلم و ما هو موضوعه

أولاً : نبذة عن نشأة وتطور علم نفس النمو

تعد التعاليم الدينية والتأملات الفلسفية ألفلسفية القديمة أول من وضعت المبادئ والقوانين الأساسية لظاهرة النمو عند الإنسان أو الكائنات الحية الأخرى ، فقد حاول رجال الدين والفلاسفة على مر العصور

السابقة دراسة ظاهرة النمو عند الإنسان والمراحل التي مر بها ، وكذلك العوامل التي تؤثر فيها بصورة نظرية أكثر منها تطبيقية ، ومما لاشك فيه إن الإنسان البدائي في العصور القديمة قد تساءل أو فكر في مراحل نموه ابتدءا من مرحلة الجنين ، فكتب التاريخ تذكر إن اخناتون وهو احد فراعنة مصر قد حاول إن يعطي تصوراً عن مراحل تطور الجنين في مرحلة ما قبل الولادة والعوامل المؤثرة .

ويوضح أفلاطون كيفية التكاثر عند الإنسان ، كما قدم مجموعة من المبادئ العامة للنمو عند الأطفال ، وكذلك خصائص كل مرحلة من مراحل النمو ، وتحدث عن أفضل الطرائق لتربية الأطفال ، وكذلك خصائص كل مرحلة من مراحل النمو ، وتحدث عن أفضل الطرائق لتربية الأطفال وتهيؤهم ليصبحوا مواطنين صالحين في المجتمع .

إما أرسطو فقد اهتم بوصف مرحلة المراهقة نظريا وتحدث عن العوامل التي تؤثر فيها ، وقد اتجه (جون لوكً) وجهة تربوية تطبيقية في تنشئه الأطفال وتربيتهم ، فنادي بان تعمل الأسرة والمدرسة والمجتمع على تكوين العادات الجديدة والمفاهيم الصحيحة التي تتفق مع المعايير التي تحكم ذلك المجتمع وغرسها منذ نعومة أظفاره ، وذلك لان" الطفل من وجهة نظره يولد وعقله صفحة بيضاء "

في حين أكد روسو في كتابه أميل عام 1762م على إعطاء الحرية الكاملة للتعبير عن استعداداته الطبيعية وتنمية مواهبه وقدراته ، فهو يرى إن الطفل مخلوق نبيل وخير بطبيعته ، ولا يفسد أحواله سوى تدخل الكبار ومن ثم يجب إلا يقحم الكبار أرائهم ولا يفرضوا سلوكهم على الطفل .

وجدير بالذكر إن العرب قد قسموا مراحل النمو لدى الأطفال فتبدأ (بالجنين ثم الوليد والفطيم والدارج أي إذا درج واستطاع إن يمشي والخماسي أي إذا بلغ طوله خمسة أشبار والمثغور إذا سقطت أسنانه اللبنية والمثغر إذا نبتت أسنانه الدائمة والمترعرع الناشئ إذا كان تجاوز عمره (0 1) سنوات ، ثم البالغ أو المراهق إذا كان بلغ الحلم .

إما فروبل فقد انتشرت آراءه عن استمرار عملية النمو عند الإنسان و أكد على إن هناك مراحل متعددة يمر بها الإنسان ، وان كل مرحلة تؤثر على التي تليها ، وقد ساس نظام التربية في الحضانة والروضة .

ثم جاءت نظرية دارون في النشوء والارتقاء التي كان لها اثر مباشر في علم نفس النمو وتتبع مراحله ، وتتبع العمليات العقلية ومظاهر السلوك في تطورها من الحيوان إلى الطفل إلى الإنسان الراشد ، وقد أكد دارون على دور البيئة وأثرها في تعديل السلوك ، فبذلك أصبحت دراسة البيئة عاملا أساسيا عندما ندرس النمو .

إما برير (1882) الذي يعتبره الكثيرون من مؤسسي علم نفس النمو فقد نشر كتابه في المانيا بعنوان " عقل الطفل " ، وقد تناول في هذا الكتاب نمو الطفل بشكل عام ونمو الشعور والذكاء والإرادة بصفة خاصة .

وفي العصر الحديث تقدمت وسائل البحث والدراسات التجريبية ، فقد اتجه العلماء نحو دراسة مظاهر النمو المتكاملة في مراحله المتتابعة .، وساهم على علماء التربية بعلمائهم وعلى رأس هؤلاء العلماء جون ديوي (1859– 1952) الذي أكد على أهمية العمل والنشاط في حياة الطفل وتربيته خلال جميع مراحل نموه .

وقد فدم علماء النفس الجزء الأكبر من المعلومات حول ظاهرة النمو ، ونذكر على سبيل المثال منهم ستانلي هل الذي لمع اسمه كرائد من رواد علم نفس النمو في الولايات المتحدة الأمريكية ، واسهم في إرساء دعائم طرائق البحث في هذا العلم وقدم الكثير من المعلومات عن الأطفال والمراهقين وتعد كتاباته عن المراهقة عام (1904) عملا له أهمية كبيرة في هذا العلم .

ومن أهم العلماء الذين لمعت أسمائهم في ميدان دراسة علم نفس النمو : (جان بياجية ، وسيجان وجودادر واريك اريكسون في دراسة النمو العقلي والنمو النفسي الاجتماعي) (هيلين تومون في دراسة النمو الجسمي) (ارثر جيبرسلد في دراسة النمو الانفعالي) (دورث مكارثي في دراسة النمو اللغوي) (كولبرك في دراسة النمو الخلقي) (ارنولد جيزل في دراسة مراجل النمو)

ومنذ إن وضعت الأسس العلمية لعلم نفي النمو في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العشرين سار هذا العلم المتطور في أربعة اتجاهات رئيسة هي :

1- الاتجاه السلوكي (البيئي) الذي أكد السلوك الملاحظ للطفل ودور البيئة والخبرات المكتسبة في تعلم الطفل للسلوك .
2- الاتجاه الوصفي (المعياري) الذي أكد على إن النمو يأتي من داخل الطفل ويظهر في تتابع على طول مراحل النمو المتتالية التي يمكن وصفها بالتفصيل .
3- الاتجاه التحليلي (النفسي) الذي قدم مفهوماُ جديدا عن الشخصية مبيننا على الحوافز اللاشعورية
4 – الاتجاه المجالي (نظرية المجال) الذي ينظر إلى الطفل النامي رفي علاقتها مع القوى الديناميكية لبيئته

وتوالت الدراسات والبحوث الجديدة في علم نفس النمو وزادت في وقتنا الحاضر بدرجة كبيرة حتى إننا نجد الكثير من المجلات العلمية الأجنبية والعربية قد انفردت بنشر هذه البحوث ، وتحوي هذه المجلات العلمية الآلاف من البحوث في علم نفس النمو وفي كافة مظاهره العقلية – الجسمية – الانفعالية – الاجتماعية ، وهكذا ، وقي كافة مراحل النمو

تعريف علم نفس النمو

يعرف علم نفس النمو، أو ما يعرف أيضاً بعلم النفس التنموي أو العلم التطويري Developmental psychologyبأنّه دراسة تطور ونمو الإنسان أثناء مراحل نموه المختلفة، بدءًا بمرحلة الطفولة ثمّ مرحلة المراهقة والشباب، وانتهاءً بمرحلة الشيخوخة، كما أنّه فرع من فروع علم النفس العام، والذي يدرس أيضاً المتغيرات التي تحدث خلال مراحل النمو المختلفة من الناحية السلوكية والنفسية، كما يهتم بالخصائص الجسمية والانفعالية الخاصة بكلّ مرحلة.

ويغرف وهو فرع من فروع علم النفس العام يتناول بالدراسة و التحليل كل ما يطرأ على الكائن البشري منذ لحضة تلقيح البويضة من نمو و تغير . و كذلك كل ما يمكن أن يحدث له من تغييرات في كل مرحلة من مراحل حياته حتى الشيخوخة و نهاية الحياة. و يحاول فيكل مرحلة أن يدرس السياقات الجسدية و الفيزيولوجية و النفسية و العقلية و يبني علاقات هذه السياقات و تفاعلها مع بعضها البعض . و يدرس أيضا المشكلات الناجمة عن النمو عبر سني حياة الإنسان المختلفة. (سليم ،2002 ، ص 13

هو أحد فروع علم النفس الذي يهتم بدراسة التغيرات التي تطرأ على سلوك الفرد من بدأ خلقه حتى مماته وهو في ذلك يشترك مع العديد من العلوم الإنسانية والبيولوجية في العديد من القضايا التي تطرح

في تلك العلوم مما حدا بالعديد من المنظرين إطلاق اسم علم النفس الارتقائي أو التطوري للدلالة على الكم النهائي من المعلومات والمعارف التي يزودنا بها هذا العلم والتي يرتبط بشكل أو بآخر مع علم النفس وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا وعلم الأجنة وعلم الوراثة وعلم الطب. وقد حاول علماء النفس الوقوف أمام ظاهرة النمو الإنساني والمتغيرات التي ترتبط به ليفرز علما قائما بذاته من أجل الإجابة عن كل التساؤلات التي يبحث القارئ عن إجابة محددة لها.